بسم الله الرحمن الرحيم

# الاتحاد الدولي للغة العربية

# المؤتمر الدولي للغة العربية الثالث

## ورقة بحثية بعنوان

## إنَّ العروبة ركن إعزازٍ ومجد

إعداد :-

الدكتورة/ إزدهار عبد الرحمن السيد

كلية اللغة العربية

جامعة أم درمان الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

خالقِ النَّاسَ أجمعين جاعلِ البشرَ مِنْ طين والصَّلاة والسَّلام على سيِّدِ البشرِ أجمعين إمام القُرِّ المحجَّلين وعلى آلهِ وَصحبهِ الطَّيِّبين الطَّاهرين

هلِ الخللُ في اللغةِ العربيةِ أم في أنصار اللغةِ العربيةِ في الدول العربيةِ والإسلامية؟؟؟

إن الإجابة ـ ضمناً ـ في عنوان هذه الورقة :

## إنّ العُروبَةَ رُكْنُ إعزازٍ و مَجْدِ

استوحيتُ هذا العنوانَ من قصيدةٍ للشاعر السوداني أحمد محمد صالح[1] عندما أرادَ أنْ يُدْيَرَ حواراً ثقافياً بين أبناء وادي النيل فقال[2]:

| | |
|---|---|
| يا وارثَ الأدبِ التّليدِ | وبَانِيَ الأدبِ الأَجَدِّ |
| علّم شبابَ الواديينِ | خلائقَ الرَّجلِ الأشدِّ |
| علمهمُ أنَّ الخُنُوعَ | مَذلَّةٌ والجُبنَ يُرْدِي |
| علمهمُ أنَّ الحياةَ | تسيرُ في جَزْرٍ وَمَدِّ |
| علمهمُ أنَّ التَّمسَّحَ | بالفِرِنْجَةِ غيرُ مُجْدِ |
| وأَبِنْ لهم أنّ العُرُوْبَةَ | رُكْنُ إعزازٍ ومَجْدِ |

فأنا اليوم أستعير قول شاعرنا غير أنني أستبدل كلمة واحدة فأقول :(علم شباب العرب) .

فالأمم تُبنى بأفكار أبنائها, والأفكار وليدة العقل ,والعقل سيده العلم , والعلم لا يكون إلا بالهمم , والهممُ لا تُعزَّزُ إلا بالهُويّة , والهُويّة سياجها اللغة , فاللغة العربية سياج هويّتنا ورمز إعزازنا ومجدنا فالمنطقة العربية كانت مهد الحضارة العربية الإسلامية ,تقود العالم في إنتاج المعرفة بلا حدود ,وكانت اللغة العربية هي لغة العلم بلا منازع ,فلا يأتيها الخلل من بين يديها ولا من خلفها, بل الخلل في أبنائها . وما ذاك إلا لجهل أبنائها بتاريخها ومجدها ولو أننا درسنا حضارة الجزيرة العربية قبل الإسلام لوجدنا أنّ معالم تلك الحضارة على درجة من الرقي المدهش .ألم تكن هي اللغة الخالدة؟ألم يكن رواد العلوم هم العرب؟ألا نعلم قدرتها على تمثل الكلام الأجنبي وكيف أنها صاغتة على أوزانها ونفخت فيه من روحها؟ فيجب أن ننصر لساننا. (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ) (3)

**أولا:ألم تكن هي اللغة الخالدة؟؟**

كُتب الخلودُ للغة العربية وتُوّجت على عرش اللغات يوم أن ختم الله بها رسالاته فكانت اللغة الوحيدة التي ارتبطت بدين سماوي وهذا يسمو بها على نظيراتها ؛ لأن المولى عز وجل تكفل بحفظها من الضياع (ﮋ ﮊ ﮉ ﮈ ﮇ ﮆ ﮅ ﮄ ﮃ ﮂ ﮁ ﮀ ﯿ ﯾ ﯽ ﯼ ﯻ ﯺ ﯹ ﯸ ﯷ ﯶ ﯵ ﯴ ﯳ ﯲ ﯱ ﯰ ﯯ ﯮ ﯭ ﯬ ﯫ ﯪ ﯩ ﯨ ﯧ ﯦ ﯥ ﯤ ﯣ ﯢ ﯡ ﯠ ﯟ ﯞ ﯝ ﯜ ﯛ ﯚ ﯙ ﯘ ﯗ ﯖ ﯕ ﯔ ﯓ ﯒ ﯑ ﯐ ﯏ ﯎ ﯍ ﯌ ﯋ ﯊ ﯉ ﯈ ﯇ ﯆ ﯅ ﯄ ﯃ ﯂ ﯁ ﯀ ﮿ ﮾ ﮽ ﮼ ﮻ ﮺ ﮹ ﮸ ﮷ ﮶ ﮵ ﮴ ﮳ ﮲ ﮱ ﮰ ﮯ ﮮ ﮭ ﮬ ﮫ ﮪ ﮩ ﮨ ﮧ ﮦ ﮥ ﮤ ﮣ ﮢ ﮡ ﮠ ﮟ ﮞ ﮝ ﮜ ﮛ ﮚ ﮙ ﮘ ﮗ ﮖ ﮕ ﮔ ﮓ ﮒ ﮑ ﮐ ﮏ ﮎ ﮍ ﮌ ﮋ ﮊ ﮉ ﮈ ﮇ ﮆ ﮅ ﮄ ﮃ ﮂ ﮁ ﮀ ﭿ ﭾ ﭽ ﭼ ﭻ ﭺ ﭹ ﭸ ﭷ ﭶ ﭵ ﭴ ﭳ ﭲ ﭱ ﭰ ﭯ ﭮ ﭭ ﭬ ﭫ ﭪ ﭩ ﭨ ﭧ ﭦ ﭥ ﭤ ﭣ ﭢ ﭡ ﭠ ﭟ ﭞ ﭝ ﭜ ﭛ ﭚ ﭙ ﭘ ﭗ ﭖ ﭕ ﭔ ﭓ ﭒ ﭑ ﭐ ﭏ פֿ כֿ בֿ וֹ תּ שּ רּ קּ צּ ﭅ פּ ףּ ﭂ סּ נּ ﬿ מּ ﬽ לּ כּ ךּ יּ טּ ﬷ זּ וּ הּ דּ גּ בּ אּ אָ אַ שּׂ שּׁ שׂ שׁ ﬩ ﬨ ﬧ ﬦ ﬥ ﬤ ﬣ ﬢ ﬡ ﬠ ײַ ﬞ יִ ﬜ ﬛ ﬚ ﬙ ﬘ ﬗ ﬖ ﬕ ﬔ ﬓ ﬒ ﬑ ﬐ ﬏ ﬎ ﬍ ﬌ ﬋ ﬊ ﬉ ﬈ ﬇ ﬆ ﬅ ﬄ ﬃ ﬂ ﬁ ﬀ 﫿 﫾 﫽 﫼 﫻 﫺 﫹 﫸 﫷 﫶 﫵 﫴 﫳 﫲 﫱 﫰 﫯 﫮 﫭 﫬 﫫 﫪 﫩 﫨 﫧 﫦 﫥 﫤 﫣 﫢 﫡 﫠 﫟 﫞 﫝 﫜 﫛 﫚 龎 齃 𧻓 𥳐 𥉉 䀹 䀘 㮝 𣏕 𢡄 𢡊 龜 鬒 頻 頋 響 韛 靖 難 陼 鉶 醙 遲 輸 贈 變 謹 諭 諾 謁 請 諸 調 視 覆 襁 蝹 華 荒 者 缾 練 絛 类 節 窱 磌 着 睊 直 盛 益 瘟 瘝 画 甆 瑱 猪 犯 爵 瞧 煮 瀞 漢 滋 滛 流 殺 歹 杖 望 朗 晴 敖 摒 搜 揄 戴 懲 慠 憎 愈 慎 惘 徭 彩 廙 廒 嬨 婢 奔 奄 墳 塚 嗢 喙 啕 喝 勺 勇 冀 充 侀 全 况 並 﩯 﩮 舘 𤋮 恵 頻 響 難 逸 辶 贈 賓 謹 謁 視 褐 著 艹 艹 臭 者 署 繁 縉 練 節 突 穀 禎 禍 祝 祖 祐 祈 祉 社 碑 琢 爫 煮 漢 渚 海 梅 暑 既 敏 懲 憎 慨 悔 屮 層 墨 塀 器 嘆 喝 卑 勤 勉 免 僧 侮 隷 郞 鶴 館 飼 飯 﨩 﨨 﨧 都 逸 﨤 﨣 諸 﨡 蘒 﨟 羽 精 靖 福 祥 神 礼 益 猪 凞 﨔 﨓 晴 﨑 塚 﨏 﨎 嗀 兀 廓 見 降 行 輻 暴 洞 宅 糖 拓 度 切 刺 茶 什 識 炙 狀 粒 笠 立 臨 淋 林 麟 鱗 隣 藺 璘 燐 吝 溺 匿 離 里 裡 裏 罹 痢 理 泥 梨 李 易 履 吏 利 隆 率 栗 慄 律 輪 淪 崙 倫 陸 戮 六 類 紐 硫 留 琉 溜 流 柳 杻 劉 阮 暈 龍 遼 蓼 療 燎 樂 料 尿 寮 僚 了 惡 隸 醴 禮 例 領 靈 零 鈴 聆 羚 瑩 玲 怜 嶺 寧 囹 令 獵 簾 殮 捻 念 廉 說 裂 烈 咽 劣 列 鍊 連 蓮 輦 聯 練 秊 璉 煉 漣 撚 戀 憐 年 轢 歷 曆 力 黎 麗 驪 閭 礪 濾 旅 廬 女 呂 勵 量 諒 良 糧 梁 凉 兩 亮 略 掠 若 拾 沈 辰 殺 說 葉 省 塞 參 索 數 泌 不 復 便 磻 北 異 率 怒 寧 丹 諾 樂 拏 讀 陵 菱 綾 稜 凌 凜 肋 勒 陋 縷 累 漏 淚 樓 屢 壘 雷 賂 磊 牢 聾 籠 弄 壟 論 鹿 錄 菉 綠 祿 碌 鷺 魯 露 路 虜 蘆 老 盧 爐 櫓 擄 勞 冷 來 郎 狼 浪 朗 廊 蠟 臘 拉 襤 藍 濫 嵐 鸞 蘭 爛 欄 卵 亂 駱 酪 落 珞 烙 洛 樂 邏 裸 螺 蘿 羅 癩 懶 奈 喇 金 契 龜 龜 句 串 滑 賈 車 更 豈                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 ﮿ ﮾ ﮽ ﮼ ﮻ ﮺ ﮹ ﮸ ﮷ ﮶ ﮵ ﮴ ﮳ ﮲ ﮱ ﮰ ﮯ ﮮ ﮭ ﮬ ﮫ ﮪ ﮩ ﮨ ﮧ ﮦ ﮥ ﮤ ﮣ ﮢ ﮡ ﮠ ﮟ ﮞ ﮝ ﮜ ﮛ ﮚ ﮙ ﮘ ﮗ ﮖ ﮕ ﮔ ﮓ ﮒ ﮑ ﮐ ﮏ ﮎ ﮍ ﮌ ﮋ ﮊ ﮉ ﮈ ﮇ ﮆ ﮅ ﮄ ﮃ ﮂ ﮁ ﮀ ﭿ ﭾ ﭽ ﭼ ﭻ ﭺ ﭹ ﭸ ﭷ ﭶ ﭵ ﭴ ﭳ ﭲ ﭱ ﭰ ﭯ ﭮ ﭭ ﭬ ﭫ ﭪ ﭩ ﭨ ﭧ ﭦ ﭥ ﭤ ﭣ ﭢ ﭡ ﭠ ﭟ ﭞ ﭝ ﭜ ﭛ ﭚ ﭙ ﭘ ﭗ ﭖ ﭕ ﭔ ﭓ ﭒ ﭑ ﭐ ﭏ פֿ כֿ בֿ וֹ תּ שּ רּ קּ צּ ﭅ פּ ףּ ﭂ סּ נּ ﬿ מּ ﬽ לּ כּ ךּ יּ טּ ﬷ זּ וּ הּ דּ גּ בּ אּ אָ אַ שּׂ שּׁ שׂ שׁ ﬩ ﬨ ﬧ ﬦ ﬥ ﬤ ﬣ ﬢ ﬡ ﬠ ײַ ﬞ יִ ﬜ ﬛ ﬚ ﬙ ﬘ ﬗ ﬖ ﬕ ﬔ ﬓ ﬒ ﬑ ﬐ ﬏ ﬎ ﬍ ﬌ ﬋ ﬊ ﬉ ﬈ ﬇ ﬆ ﬅ ﬄ ﬃ ﬂ ﬁ ﬀ 﫿 﫾 﫽 﫼 﫻 﫺 﫹 﫸 﫷 﫶 﫵 﫴 﫳 﫲 﫱 﫰 﫯 﫮 﫭 﫬 﫫 﫪 﫩 﫨 﫧 﫦 﫥 﫤 﫣 﫢 﫡 﫠 﫟 﫞 﫝 﫜 﫛 﫚 龎 齃 𧻓 𥳐 𥉉 䀹 䀘 㮝 𣏕 𢡄 𢡊 龜 鬒 頻 頋 響 韛 靖 難 陼 鉶 醙 遲 輸 贈 變 謹 諭 諾 謁 請 諸 調 視 覆 襁 蝹 華 荒 者 缾 練 絛 类 節 窱 磌 着 睊 直 盛 益 瘟 瘝 画 甆 瑱 猪 犯 爵 瞧 煮 瀞 漢 滋 滛 流 殺 歹 杖 望 朗 晴 敖 摒 搜 揄 戴 懲 慠 憎 愈 慎 惘 徭 彩 廙 廒 嬨 婢 奔 奄 墳 塚 嗢 喙 啕 喝 勺 勇 冀 充 侀 全 况 並 﩯 﩮 舘 𤋮 恵 頻 響 難 逸 辶 贈 賓 謹 謁 視 褐 著 艹 艹 臭 者 署 繁 縉 練 節 突 穀 禎 禍 祝 祖 祐 祈 祉 社 碑 琢 爫 煮 漢 渚 海 梅 暑 既 敏 懲 憎 慨 悔 屮 層 墨 塀 器 嘆 喝 卑 勤 勉 免 僧 侮 隷 郞 鶴 館 飼 飯 﨩 﨨 﨧 都 逸 﨤 﨣 諸 﨡 蘒 﨟 羽 精 靖 福 祥 神 礼 益 猪 凞 﨔 﨓 晴 﨑 塚 﨏 﨎 嗀 兀 廓 見 降 行 輻 暴 洞 宅 糖 拓 度 切 刺 茶 什 識 炙 狀 粒 笠 立 臨 淋 林 麟 鱗 隣 藺 璘 燐 吝 溺 匿 離 里 裡 裏 罹 痢 理 泥 梨 李 易 履 吏 利 隆 率 栗 慄 律 輪 淪 崙 倫 陸 戮 六 類 紐 硫 留 琉 溜 流 柳 杻 劉 阮 暈 龍 遼 蓼 療 燎 樂 料 尿 寮 僚 了 惡 隸 醴 禮 例 領 靈 零 鈴 聆 羚 瑩 玲 怜 嶺 寧 囹 令 獵 簾 殮 捻 念 廉 說 裂 烈 咽 劣 列 鍊 連 蓮 輦 聯 練 秊 璉 煉 漣 撚 戀 憐 年 轢 歷 曆 力 黎 麗 驪 閭 礪 濾 旅 廬 女 呂 勵 量 諒 良 糧 梁 凉 兩 亮 略 掠 若 拾 沈 辰 殺 說 葉 省 塞 參 索 數 泌 不 復 便 磻 北 異 率 怒 寧 丹 諾 樂 拏 讀 陵 菱 綾 稜 凌 凜 肋 勒 陋 縷 累 漏 淚 樓 屢 壘 雷 賂 磊 牢 聾 籠 弄 壟 論 鹿 錄 菉 綠 祿 碌 鷺 魯 露 路 虜 蘆 老 盧 爐 櫓 擄 勞 冷 來 郎 狼 浪 朗 廊 蠟 臘 拉 襤 藍 濫 嵐 鸞 蘭 爛 欄 卵 亂 駱 酪 落 珞 烙 洛 樂 邏 裸 螺 蘿 羅 癩 懶 奈 喇 金 契 龜 龜 句 串 滑 賈 車 更 豈                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         

هل عظمنا قدرها وحق وفائها هل دافعنا عن حرمتها؟ ينبعي أن نستنفر ـ في هذا اليوم ـ الهمم ونحث أبناءها وبناتها على الحفاظ على لغتهم لأنها الوطن والملاذ .لا بد أن نعلم شبابنا حرمة هذه اللغة وعزتها وقداستها.

ولو أنّ أهل العلم صانوه صانهم ولو عظّموه في النفوس لعُظّما[10]

فهي تبقى اللغة الخالدة وهي رمز العزة والشموخ والرقي وأهم ما يلاحظ في تاريخ اللغة العربية ابتداء من الثلث الأخير من القرن الأول الهجري أنها أصبحت ذات مكانة مرموقة وطيدة في الدولة الإسلامية وذلك لعدة أسباب :

1\العربية أصبحت اللغة الرسمية للدولة الإسلامية فقد عربت الدواوين حوالي{87هـ} {705م}.

2\العربية كانت لغة الطبقات الحاكمة في المجتمع واستخدام الفصحى دليل على الرقي وعلى المكانة الاجتماعية.

3\العربية المولدة التي كانت بها أخطاء كانت لغة الطبقات الدنيا في المجتمع.

4\العربية الفصحى ظلت لغة العرب التي تعتز بها الطبقات العليا من المجتمع.

5\ العربية هي لغة الدين ولغة القرآن الكريم ولغة العبادات[11]
وأختم هذا المحور بكلام الجاحظ الذي سجل إعجابه وإعجاب عصره بحديث الأعراب حيث قال: {ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا آنق ولا ألذّ في الاسماع ولا أشدّ اتصالاً بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقديماً ًلبيان من طول استماع حديث الأعراب الفصحاء العقلاء والعلماء البلغاء}[12].

## ثانيا:ألم يكونوا رواد الأدب والعلوم:

تحيا الأمم بآدابها لأن الآداب ترقى المرء فوق الحياة المادية وتسمق به إلى المدارك الشريفة و ترقيه إلى عالم الأرواح وإلى الجمال الإلهي الذي منه يستعير كل مخلوق جماله .وعليه فإن أراد العاقل أن يعرف درجة التمدن التي بلغها شعب من الشعوب بحث عن إنشاء الآداب بين أهله ولذلك ترى المؤرخين يقدمون في تاريخهم تاريخ الآداب على تاريخ الوقائع وربما أفردوا للآداب تاريخاً قائما بذاته يثبت ما يختص من العلوم والمعارف في كل ملة مخبراً عن نشاة الآداب بينها واتساع نطاقها أسباب ترقيها ونتائجها الطيبة في إصلاح العموم وتحسين أخلاقهم ودفعهم إلى المشروعات الأثيرة وللمساعي الخطيرة.

ومن عجيب أمور اللغة العربية أنك لا تجد حتى اليوم تاريخاً ممتعاً لآدابها مع وفرة كتبتها وتعدُد مصنفاتها في كل أبواب العلوم واتساع دائرة نفوذها إلى حدود الهند والصين ومجاهل أفريقية وسواحل أوربا وقد أحسَّ بهذا النقص بعض المستشرقين المحدثين في فرنسا والنمسا وألمانيا وإنكلترا وروسيا وإيطاليا فأرادوا نوعاً سدّ هذا الخلل ببعض التآليف التي أودعوها أوصاف العلوم العربيَّة وتراجم أصحابها وقائمة الكتب التي صنفوها. وكذلك جرى على آثارهم بعض كتبة الشرق في مصر فاستقوا من مناهلهم أخصهم المرحوم جرجي زيدان في كتابهِ تاريخ الآداب العربية

ويسوغ لنا أن نختصر بكلمة هذا القسم فنقول إن الشرق والغرب تباريا في نهضة الآداب العربية في القرن التاسع عشر بعد خمولها. استخرج الغرب من خزائنه كنوزه المدفونة ولآليه المكنونة فسحرت لدى نشرها ألباب أبناء الشرق فتسارعوا إلى إحراز جواهرها والاستقاء من مناهلها فاتسعت بها دائرة مداركهم وشحذت أذهانهم وتحسن ذوقهم ولم يأنفوا أن يستعيروا من أهل الغرب ما وجدوه موافقاً لرقي آدابهم فمهدوا للآتين بعدهم السبيل لتبليغ اللغة إلى صرح كمالها.[13]

ألم تكن بضاعتنا ردت إلينا ؟؟؟

لماذا لا نكتب تاريخنا بأيدينا وقد كنا الرواد يوما ؟؟

نحن حقاً في حاجة لفريق يهبّ لكتابة تاريخنا بصورة ممتعة نقية من كل شوائب دُست بغير أيادي بنيها أمثال الدكتور عبد الرحمن الرفاعي في مؤلفه الرائع (الحلقة المفقودة في امتداد عربية اللهجات السامية ) حيث جاب المناطق وشافه الأعراب على نحو ما كان يصنع الأقدمون في الوصول إلى حقائق اللغة وسبر أغوارها .إلا أن هنالك بعض المستشرقين المنصفين الذين شهدوا بفضل العرب على الغرب وهو.المترجم (وات ) عندها تحدث عن سر التقدم المفاجئ في الطب في مدينة ساليرنو في جنوب إيطاليا ذاك التقدم الذي حدث في القرن الحادي عشر على يد شخص يدعى قسطنطين الإفريقي الذي درس الطب في العالم الإسلامي وقضى الشطر الأخير من حياته يترجم إلى اللاتينية المؤلفات الطبية التي درسها ,من بينها كتاب (الكناس الملكي) الحاوي لمختلف المعارف الطبية الذي ألفه في القرن العاشر ,الطبيب العراقي الذي عرفته أوروبا باسم هالي عباس .[14]

ويبدو أن قسطنطين هذا كان يترجم من العربية زاعماً أنّ تلك الأعمال من تأليفه الخاص تقول هونكة عنه :{وبقيت شهرته مطبقة الآفاق مدة أربعين سنة حتى يظهر بعدها فجأة أن هذا الرجل أتى من قرطاجة لم يكن عبقرياً بل كان تاجراً غشاشاً عرف كيف يغلّف بضاعة قديمة بغلاف جديد باهر للأنظار }.[15]

هل كتب المستشرقون عن سبق العرب لدراسة اللغة باعتبارها غاية في ذاتها عن طريق وصفها أو دراسة إمكاناتها ومعطياتها من أصوات ونحو وصرف ودلالة. وما تدل عليه من مضامين حضارية وإنسانية .؟

كل من يفكر في الحديث عن فقه اللغة وعلم اللغة من أجيالنا الحاضرة ينصرف ذهنه للسير وليم جونز الذي كان يعمل قاضياً بالمحكمة العليا في البنغال لأنه,أول من أعلن (1786م) أن اللغات السنسكريتية واليونانية واللاتينية أنها تنتمي في أصولها إلى لغة واحدة وكان هذا الإعلان بمثابة الشرارة التي ومضت في أذهان اللغويين الغربيين فألقت إليهم بفكرة المقارنة بين اللغات فعمدوا إلى تقسيمها إلى سلالات ووضعوها جميعا على بساط البحث والدرس والمقارنة فارتبط اسمه وليم جونز بعلم اللغة وفقه اللغة فهم يجهلون أو يتجاهلون بأن مصطلح فقه اللغة قد ظهرلأول مرة على ألسنة اللغويين العرب وفي مؤلفاتهم ومصنفاتهم خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وذلك حينما ألف بن فارس القزويني كتابه (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) وتبعه أبو منصور الثعالبي فألف كتابه (فقه اللغة وسر العربية) ولا يعني ذلك أن العرب لم تعرف دراسة اللغة وعلومها وبحث قضاياها إلا حينما ظهر هذان الكتابان حيث كانا مسبوقين

بالكم الوفير من المعلومات والمصنفات التي تعرضت لها هذه الدراسات اللغوية وإن لم تحمل على غلافها مصطلح (فقه اللغة) كالمصنفات في الدراسات النحوية والصرفية والبلاغية المعجمية والقراءآت القرآنية وغيرها . كما صنف بعدهما لغويون آخرون مصنفات هي أكثر تمثيلاً وأشد اتفاقاً مع المعنى الحقيقي لفقه اللغة بمفهومه الحديث وإن لم يعنونوا لها باسم فقه اللغة , فقد ألف ابن جني كتاباً في علوم اللغة وخصائصها وبحث قضاياها سماه(الخصائص) وبعده ألف السيوطي كتاباً سماه(المزهر في علوم اللغة وأنواعها) .[16]

أرايت أن علماءنا كان لهم فضل السبق في هذه المؤلفات وليس الغربيون وحدهم ؛لأن ابن فارس المتوفى (395هـ)وأبا منصور الثعالبي المتوفى 492هـ كانا أسبق بكثير من إعلان وليم جونز في 1786م ولو نظرنا ما يقابل تاريخهم الهجري من الميلادي لوجدته تقريبا يعادل 917م 1114م كما كان العرب أسبق في تأليف المعاجم ورائد هذا العمل هو الخليل بن أحمد في معجمه العين.إنّ صنعة أول معجم في أي لغة من اللغات على نحو وترتيب جديدين لا سابق لهما لهو من أعمال الصفوة العباقرة الخالدين, والخليل بعمله الجليل هذا والكبير يضع البداية الأولى لعلم الأصوات في العربية كما كان رائداً لأصحاب المعجمات.وقيمة الشئ تظهر بحجم الافتراء عليه,ولما كان معجم الخليل بن أحمد عملاً عبقرياً خارقاً افترى عليه بعض المستشرقين بزعمهم أن الخليل بن أحمد قد اهتدى إلى شئ من علمه اللغوي والنحوي بسبب ما أفاده مما ترجم من العلم الإغريقي , وقد تبعهم ـ في هذا الافتراءـ آخرون من المشارقة فأعادوا هذه المقولة التي تفتقر كل الافتقار إلى الدليل التاريخي[17].

وهنالك مجال آخر نبغ فيه العرب ووضعوا أساسياته التي تتطور العالم بموجبها .

إن المتابع للتطورات المتلاحقة في العالم اليوم , ليدرك أن أهم منجزات هذا العصر تكمن في حقلين جديدين هما :غزو الفضاء والمعلوماتية "علوم الحاسوب"ومما لا شك فيه أن الإنسانية مَدينة في كل من هذين المجالين للترجمة من منابع العربية الإسلامية .فالمسلمون هم الذين شاركوا بدور فعّال في تقدم الفلك وعلومه.حيث إن الصلاة والصيام والحج كلها تعتمد على الحسابات والظواهر الفلكية ,وقد كان لها دورها الكبير في حفز علماء المسلمين إلى دراسة الفلك كما أن الإسلام حارب التنجيم في الوقت نفسه,ومن ثم اتجهت أنظار المسلمين نحو تحويل التكهنات التنجيمية إلى علم ؛لدراسة النجوم والأفلاك.وقد كانت لترجمة إسهامات المسلمين في هذا الحقل للغات الأوروبية أثرها البارز في تقدم العلم تلك الخطوات العملاقة التي أوصلت الإنسان إلى الفضاء[18].

اما في مجال الرياضيات التي هي محور التطور في علوم الحاسوب,فالعلم كله مدين لعلماء المسلمين العرب في النقلة النوعية في العلوم الرياضية,إذ كان الغرب يعتمد على الأرقام الرومانية التي لا تعرف الصفر والتي لا يمكن حساب أي شئ يذكر بوساطتها .وقد ترجم الغربيون أعمال الخوارزمي اللاتينية فعرف الغرب لأول مرة الأرقام العشرة بما فيها الصفر [19].

ومن الأدلة الساطعة الأخرى تسمية الغرب لهذه الأرقام بالارقام العربية وكذلك كلمتا ALJEBRA و LOGARITHM وهما تقابلان الجبر والخوارزميات نقلها العرب المحدثون الى لوغاريثمات . هذا قيض من فيض من إسهامات العرب التي وصلت إلى الغرب عن طريق الترجمة,فأغنى الغرب حضارته ومن خلالها وصل إشعاع المعرفة إلى أوروبا في وقت كانت تغطّ في عصور الجهالة والظلام ,فبدد ذلك الظلام وأشعل فتيل عصر النهضة الأوروبية [20]. قد تبين لنا من هذه الإشراقات أن العرب كانوا رواداً والمكان لا يحتمل الإطالة ,فجهدهم أكبر من أن يسطّر في صفحات لكنها كلمات عن مجالات محورية وهي اللغة و الطب والرياضيات ذكرتها لنذكّر أبناءنا أن لغتهم مشرقة بالمنارات فعليهم أن يعوها ويفخروا بها .

**ثالثا:ألا نعلم قدرتها على تمثل الكلام الأجنبي ؟؟**

هناك ظاهرة يقف أمامها الباحث في فقه اللغة العربية وتطورها متعجباً ومعجباً في آن واحد .هي الحرص الشديد على سلامة الجملة وتجنب أقل نزوة عشوائية تخدش قواعد التركيب في الألفاظ وصوغها ,والجمل وسياقها ,ومع هذا الحرص الشديد يبقى باب المفردات المعجمية الواردة من لغات أخرى مفتوحاً على مصراعيه .فهنالك تدقيق وتزمت ومخافة على قواعد الصرف والنحو والإعراب وحرية مريحة جداً في المعجم تسمح بكل جديد أنْ يدخل باسمه الأصلي في لغة العرب فمعظم أسماء التوابل والمنكهات عرفها العرب منذ الجاهلية وذلك كالفلفل والكمون والكزبرة والشمر وجوز الطيب والسمسم والبندق والفستق واللوز والجوز والسكر وكذلك الملابس مثل السروال والقفطان وأكثر أسماء الحجارة الكريمة مثل الزمرد والزبرجد والياقوت واللؤلؤ والمرجان والكثير من أسماء الأزهار كالبنفسج والنسرين والياسمين.هذا غير ما تتبادله العرب من لغات نفس العائلة السامية التي تتصدرها اللغة العربية فدخلت آلاف مؤلفة من الألفاظ بعضها يسهل معرفتها بقرائن صوتية معينة مثل الجزر وغيرها من الكلمات وقد أجاد الدكتور حسن ظاظا في عرض هذا الموضوع واسترسل في الحديث عنه بأسلوب سلسٍ وعرضٍ ممتعٍ حرمتنا منه خشية الإطالة في هذا الموضع[21].

إن تبادل التاثير والتاثر بين اللغات قانون اجتماعي إنساني وأن اقتراض بعض اللغات من بعض ظاهرة إنسانية أقام عليها فقهاء اللغة المحدثون أدلة لا تحصى وقد عرفت اللغة العربية هذا قبل الإسلام وكان هذا دأب العرب في جاهليتهم تجري على ألسنتهم بعض الألفاظ التي يحتاجون إليها من لغات الأمم المجاورة بعد أن ينفخوا فيها من روحهم العربية ويتلقفها الشعراء منهم فيدخلونها في أشعارهم وأرجازهم[22] حتى رأيناه في لغة الشعر الجاهلي وقرأناه في سور القران واستخرجناه من بعض الحديث النبوي.

والعربية -على اتساع مدرجها الصوتي- ازدادت سعة على سعة يوم أدخلت بين حروفها الهجائية أصواتًا تقاربها مخرجًا أو صفة؛ إذ عربت هذه الأصوات الدخيلة، وحددت لها مواقعها من جهاز النطق" فلم تستعصِ على ألسنة العامة فضلًا على الخاصة.

فالعرب قديما عندما احتاجوا إلى بعض الكلمات استطاعوا تعريبها وإدخالها في مدرج اللغة العربية واخضعوها إلى قوانين اللغة وخصائصها ولم تكن لديهم من المقومات مثلما كانت لدينا اليوم فنجدهم قد أخذوا كل ما يحتاجونه في ذاك الزمان دون عناء ولا مشقة فلماذا نعجز اليوم عن أخذ ما نحتاجه من تلك العلوم .أرأيت كيف أن الترجمة قد أشعلت فتيل النهضة في أوروبا فأخذوا

ما يشاءون وترجموه أغنوا به حضارتهم وعلومهم. مالي أراكم ياآل يعرب تختلفون حيال قضية تعريب العلوم وأحسب أن أكبر عائق للتعريب إعلان تعريب العلوم قبل ترجمة أساسياتها ومصطلحاتها .

وقضية التعريب قضية قديمة متجددة كثر الجدل حولها في السنوات الأخيرة من هذا القرن عندما أعلنت بعض الدول ضرورة تعريب التعليم العالي، وقد أثار القرار حواراً كبيراً حيث كانت تسيطر اللغة ا لإنجليزية على مسار التعليم عندنا وعلى الرغم من هذا الجدال فقد نقلت الجامعات نقلة كبرى بموجب هذا القرار سواءً أكانت الاستجابة كاملة أو منقوصة .

لو أردنا أن نتساءل لمَ هذا العناء والجهد الذي تقوم به المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الإصرار بالتعليم باللغة العربية والعلوم موجودة في الكتب باللغة الإنجليزية؟

تتلخص أوجه الرد في نقاط هي:

1\إن استعمال اللغة الأم أفضل لنهل المعرفة,فإن مخاطبتهم بلغتهم الأم أفضل من مخاطبتهم بلغة غيرهم (گ گ گ گ گ گ گ).

2\لكي تنزل المعرفة التي تؤثر على حياة الناس ينبغي أن تتنزل العلوم على شرائح واسعة في المجتمع ليساعد على تطور الأمة,فيصبح من المهم أن تصاغ العلوم باللغة العربية حتى يستطيع كل إنسان أن يتناول المعرفة.

3\ اللغة هي خزانة الثقافة وخزانة العلم وهي عاصمة العروبة فلو تفرقنا عنها لتفرقت الأمة لهذا يصبح التعليم ضرورة حتمية وقيمة حضارية واللغة الأجنبية يجب ألا تكون هي خيار الأمة وأول كلية طب أنشئت في بيروت عام 1966م كان التدريس فيها باللغة العربية . التدريس الجامعي في كثير من البلاد العربية يؤكد اليوم أنا قطعنا أشواطًا في هذا الصدد، "فالدراسات القانونية والاجتماعية بوجه عام إنما تدرس باللغة العربية، وكذلك الدراسات العلمية من طبيعة وهندسة ورياضة، بل يدرس في جامعات الجمهورية العربية المتحدة نظريات الذرة والإليكترونات باللغة العربية، ولم يبقَ إلا بعض الدراسات الطبية التي لم تستكمل وسائلها في المكتبة العربية"( هذا ما أفتى به مجمع اللغة العربية في القاهرة تحت عنوان "حتى علوم الذرة والإلكترونات تدرس باللغة العربية" لما استفتاه المكتب الدائم لتنسيق التعريب، وذلك أيضًا ما اقترحه المجلس الأعلى للجامعات في القاهرة تحت عنوان "ضرورة التعجيل بتعريب التعليم" [23]

فالاستقلال الحر لا بد أن يلحقه استقلال بالفكر وهنالك ثلاثة شواهد من العهد على كفاية اللغة العربية في تدريس مناهج العلم وهي التجربة السورية 1919م ،والتجربة العراقية 1977م،والتجربة السودانية 1990م

والنتيجة أنه قد ازداد استيعاب الطلاب الجامعيين للمادة العلمية فحدث حراك في التأليف كما ضاعفت أعداد الجامعات ست مرات فازداد بذلك عدد الطلاب فتوسعت دائرة المعرفة في المجتمع ولكننا نفتقر إلى بعض ركائز العمل التعريبي وهي المصطلح العلمي والحصول على الكتاب المنهجي والمرجعي وثقة الأستاذ والطالب الجامعي في الكتاب العلمي . وبعد الثقة تأتي كفاءة الأساتذة لأنها حجر الزاوية في التعريب وليس حفظ المصطلحات .

وأخيراً فالتخطيط اللغوي بين المجامع والمؤسسات المعنية باللغة العربية هو أهم ما نحتاجه .

**رابعاً: القضية التعليمية هل تسهم في الخلل؟**

العلم كما يقال - سلاح ذو حدين، ومن هذا المنطلق أدرك أعداء الله من جميع الكفار أن صخرة العقيدة الإسلامية لا يمكن النيل منها عن طريق القوة والسلاح ولذلك لجأوا إلى وسيلة أخرى هي أخبث في التأثير وأشد في الدهاء. وهذه الوسيلة هي غزو مناهج التربية والتعليم في العالم الإسلامي بأفكار ونظريات وشبهات وشكوك يضفي عليها - كذباً وبهتاناً - ثوب التجرد العلمي، والبحث العلمي!! وسلك أعداء الإسلام في هذا سبيلين: الأول: السيطرة على التعليم في الداخل والثاني عن طريق الابتعاث الخارجي.

وقد صرحوا بهذا فها هو القس زويمر يقول:{ لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية المستقلة أو التي تخضع للنفوذ المسيحي أو التي يحكمها المسيحيون حكماً مباشراً، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي والكنائس والجمعيات وفي المدارس الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية}[24]

أما الابتعاث الخارجي فقد حقق هذا نتائج تُرْضِي من خطط لها ؛ ذلك أن هذا الابتعاث - في الغالبية العظمى منه - يكسر صفة التميز بين المسلم والكافر، ويجعل ولاء المسلم متذبذبا وهو يرى ما بهر به، ثم إنه يزيد الطالب جهالة بدينه وقيمه ومثله، ويزيده تعلقاً بالغرب أو الشرق ويبدأ بتطبيعه بطابع غير إسلامي، ثم يصير هذا التطبع - مع الزمن - طبعاً، ثم انسلاخاً من حيث يشعر الطالب أو لا يشعر فتجده في لبسه ومأكله ومشربه وكلامه وطريقة تعامله، غربياً، أو شرقياً بل ربما أكثر من ذلك[25]

ولا يظنّنّ ظانّ أنني ضد فكرة الابتعاث إلى الخارج وتعلم اللغات الأجنبية الأخرى ،فهي إحدى لغات العلوم وفي تعليمها فائدة محققة ،وأن نربح إلى لغتنا لغة أخرى ونجمع إليها آدابها وفوائدها .بمعنى أن نطلب تعليم اللغات الأخرى وعلومها ونتمكن منها على أن لا تكون على حساب لغتنا الأم فهي وسيلة لكسب العلوم وليست بديلة على اللغة الوطنية .فعلى أبنائنا أن يأخذوا العلم ولكن لا ينسلخوا عن تبعيتهم حتى لا يتحقق طموح بعضهم مما يريدون من الاستلاب الفكري والديني.

وخلاصة ما يريده بعضهم في قضية التربية والتعليم هو ما قاله المستشرق "جب" في كتابه " وجهة الإسلام" حيث قال: ".. والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب (أو الفرنجة) هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي، وعلى المبادئ الغربية، وعلى التفكير الغربي. والأساس الأول في كل ذلك: هو أن يجرى التعليم على الأسلوب الغربي وعلى المبادئ الغربية، وعلى التفكير الغربي ... هذا هو السبيل الوحيد، ولا سبيل غيره، وقد رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي، ومدى تأثيره على تفكير الزعماء "[26].
ولوأننا أمعنا النظر وجدنا أن هذه المدارس ذات تكاليف عالية ورسوم باهظة لا يستطيعها إلا أبناء الذوات ذوو المقامات العالية والذين هم نواة التغيير في المجتمع بل لعله قد سرت فينا نشوة الطبقية والكبرياء فبات واضحا أن المدارس العربية والحكومية هي مدارس للطبقات الدنيا و الفقيرة من المجتمع ويخشى الذوات على أبنائهم من الاختلاط مع هؤلاء المعدمين والمهمشين اجتماعياً .أو بمعنى آخر إن أهلها رفعوا تكاليفها لأنهم يريدون طبقة الزعماء والمترفين.

ولعل التاريخ يعيد نفسه لأننا نذكر تماما كيف كانت البداية؛حيث قام اللورد كرومر ـ المعتمد البريطاني في مصر أيام الاحتلال ــ بإنشاء كلية فكتوريا حيث قصد بها تربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي ليكونوا من بعدهم أدوات المستعمر الغربي في إدارة شئون المسلمين[27].

وجاء دنلوب المتخرج من كلية اللاهوت البريطانية ليرسم سياسة التعليم في مصر،حيث وضع مناهج كفيلة بإخراج النماذج التي عنوها . ومصداق ذلك أن درس الدين لا يدرس منه الا نتف يسيرة ثم تلغى مادة الدين في نهاية العام الدراسي[28].

أما مادة التاريخ فلا شئ يذكر فيها من البطولات الإسلامية والحركة العلمية الإسلامية كل ذلك يخفى على الطلاب,في الوقت الذي يدرس فيه بتوسع تاريخ أوروبا ونهضتها ورجالها وأبطالها وأنها بلد التقدم والرقي ومهبط المدنية.

ومما يؤكد الإذعان والتبعية لتلك الدول أن تقويم المدارس الأجنبية والاختبارات تأتي من بلادهم بأفكارهم وسلوكياتهم. ولأنهم يعلمون أن من يملك لغته يملك قراره أضعفوا فيهم نزعة الانتماء إلى اللغة الأم التي هي في الأصل لغة دينهم وعباداتهم فقرروا لهؤلاء الطلاب ما يسمى باللغة العربية الخاصة ظنا من هؤلاء أن اللغة العربية لغة يصعب فهمها ويرمون قواعدها بالجمود والتعقيد والعقم .

فيأتوهم بلغة تقصر عن أعمارهم سنوات عديدة فما كان في المرحلة الوسطى يؤتى له بمنهج يعادل منهج الصف الخامس، وفي دروس الفقه يدرس باباً واحداً أو بابين مما هو مقرر على نظائره في المدارس العربية الإسلامية .كيف تكون هذه اللغة صعبة وهنالك مدارس قرآنية يحفظ فيها الأطفال كتاب الله كاملا تلاوة وحفظا وتفسيرا وقراءة فنحن في حاجة إلى القرارات السيادية الحاسمة للسيطرة على التعليم ومنع هذا الطوفان الذي يكتسح أبناء أمتنا . فيخرج فريق من شبابنا فكرهم مستلب وهويتهم ضائعة.ولو كنت في مقام مسؤول لمنعت تعليم اللغة الإنجليزية في الست سنوات الأولى في عمر الطفل وحتى هؤلاء قد طالتهم هذه السياسة الخطرة فصار الأطفال يخلطون بين الأصوات العربية والإنجليزية وعلى ذلك فقِسْ .
.ولا تحسبن أن هذا الاستهداف للمناهج التعليمية ينحصر في تلك المدارس الأجنبية بل قد طالت يده المناهج الوطنية أيضا فنحن في السودان إلى وقت ليس بالبعيد كنا ندرس في مناهجنا (طه القرشي مريض)و(طه القرشي في المستشفى)و(محمود الكذاب)و(مريم الشجاعة)و(أندرو والأسد) فلو نظرت في دلالة هذه الموضوعات لأدركت سياستهم التي تشوه الإسلام .مع تقليل الجرعة القرآنية حيث لا يتعدى الحفظ في القرآن السور الصغيرة مع جهل تام لقواعد التجويد .

والحمد لله وبعد أن تنبه قادتنا أعيد النظر في المناهج الدراسية وحدث تطور كبير وبات أبناؤنا يقرؤون القرآن بتجويده والفقه بأدلته والتاريخ بدقائقه وبطولاته ولكننا ما زلنا نعاني مرارة الضعف في اللغة العربية في المدارس والجامعات فماالسر في ذلك ؟؟

إن الحديث عن التعليم العام في المدارس سينبري له من هم أهله وذوو تخصصه اما عن مستويات اللغة العربية في التعليم العالي فسمة الضعف قد فاقت التصور . وإني لأحسب أن فساد الملكة هو سر الضعف ومجافاة النصوص الأدبية هو سر التخلف العلمي.

آن الأوان يا أخواتي وإخوتي أن نستمع لدعوى توطين العلوم في الجامعات العربية والإسلامية وقد أفاد وأجاد الدكتور علي القريشي عندما نكأ الجرح وتناول هذه القضية بعمق في سلسلة كتاب الأمة .

فالقضية التعليمية تمثل قطب الرحى في عملية الخلل الذي أصابنا فهي المحور الذي تنبني عليه الحضارات وتشيد به الأمم وتنمو به الثقافات.

ولو أننا استقرأنا الحياة البشرية منذ انبثاقها لأدركنا حقيقة هذه الأهمية فقد كرمنا الله سبحانه وتعالى وعلم آدم الأسماء كلها قبل الملائكة الذين اصطفاهم الله (ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ) [29] ولو أننا امتثلنا وحققنا تكليفه تعالى لَنَجَوْنَا بالقضية التعليمية إلى برّ الأمان ؛لأنّ المولى جلّ وعلا جعلها مفتاح الدين حيث قال:(إقرأ) (إقرأ وربك الأكرم) قراءة قاصدة هادفة ,نتاجها الكسب العلمي والمعرفي وإيجاد الرحم والمناخ العلمي , وذلك أن المعرفة هي طريق النهوض ولا طريق سواها .

وقد أشرنا إلى أن الغرب عندما أدرك أن صخرة الإسلام لا تناطح اتخذ سبيلا آخر للغزو فبدأ بالتعليم وكان هذا واضحا بيّنا في قراراتهم التي صرحوابها.فالاستشراق الذي بهر الناس بدعواه للإنسانية وخدمة البشرية، قد قصد بمخططاته غزو الأمة الإسلامية في ثوابتها: اللغة والقرآن والحديث .

ولنقف عند بعض مواقف الاستشراق التي استهدفت الأمة الإسلامية وعندما فشلوا في ارتدادنا أعلنوا فتح المدارس التبشيرية ليحاربوا قراءة القرآن .

فقد قاموا بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول على معرفة موضوعية عن الإسلام ,كما أنهم أوعزوا بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية وحسب ما يرى بعض الباحثين فإن الاستشراق قد بدأ بنشاط الرهبان في مجال الترجمة حيث توجهت البعثات العلمية النصرانية إلى الأندلس فقد كان لا بدّ من معرفة الإسلام معرفة جيدة لمحاربته محاربة جيدة على مستوى العقيدة وانكب المفسرون النصارى على ترجمة القرآن ودراسته من أجل نقده. ولكن الحرب انقلبت عليهم فشهد بعضهم على أن الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن كانت مطابقة تماما للمعارف العلمية الحديثة. وقد صرح بذلك الطبيب الفرنسي الدكتور موريس بوكاي حيث قال في دراسة علمية كتبها بعنوان "القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم" :{لقد أثارت دهشتي هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن والتي كانت مطابقة تماما للمعارف العلمية الحديثة ,ولقد درست هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم سابق وبموضوعية تامة } [30].

فهو من المنصفين الذين عبروا عن حقيقة الإسلام ولكن تصريحاتهم لم تكن دائما صادرة عن حسن نية؛ لأن الاستشراق قد برز منذ بدايته بقصد إيقاف التأثير الإسلامي في العالم الغربي ,ثم تطور ليخدم مشروع تنصير المسلمين وقد كان هدفه منذ نشأته خدمة الكنيسة والاستعمار ،فالتبشير والاستعمار هما ابنا الاستشراق الشرعيين.

ولقد امتد النفوذ الكنسي على الاستشراق حتى وصل إلى المعاهد العلمية ،فمثلا قرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كامبردج سنة1636م نص صراحة على خدمة هدفين أحدهما تجاري والآخر تنصيري[31] ودثروها بثوب التجرد العلمي والبحث العلمي ـ كما أسلفت ـ

فقال:{ونحن ندرك أننا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد بتعريض جانب كبير من المعرفة للنور بدلا من احتباسه في نطاق هذه اللغة التي نسعى إليها لتعلمها،ولكننا نهدف أيضا إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون في ظلمات}[32].

كنا نحسب أنّ قرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كامبردج هو الميلاد الحقيقي لتلك الرحلات التعليمية المخططة ولكن من المتفق عليه أن الاستشراق الرسمي قد بدأ وجوده حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي سنة 1312م وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية[33].

وكانت نتيجة هذه النداءات أن خرج من رحم اللغة العربية من أبنائها من ينادي بإحلال اللغات المحلية مكان اللغة الأم ولكن تصدى لها أبناء اللغة الغيارى على عزتها وشرفها فوقفوا سدا منيعا في وجه هذا التيار الظالم .

إذن فكيف نحرر مناهجنا التعليمية ؟ بالعودة إلى توطين العلوم في الجامعات العربية الإسلامية ،ونبدأ بما تُسلّم به الفطرة، التدرج في التعليم ولنا في ديننا أسوة حسنة .فسلم التعليم في الهدي النبوي ولو اهتدينا لاقتدينا .

**التدرج في التعليم :**

لا ريب أن البداءة بتعليم الأصول والكليات قبل الفروع والجزئيات، يُعدّ السّلَّم السّوي في مراتب التعليم، وأدعى لثبات العلم ورسوخه لدى المتعلم.
وقد قرر المنهج النبوي هذه الطريقة في التعليم، فعن جندب بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن فتيان حَزاوِرة[34] ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلَّم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيماناً"[35]

لذلك على المعلم أن يراعي مدارك الطلاب، ومستوياتهم، وأعمارهم، ويعطي كلاً بما يقدر عليه.

فإن اهتمامنا بتعلم القواعد النحوية في مرحلة مبكرة من حياة الطفل، جعلنا نظن أن مقياس إجادة اللغة، هو البراعة في حفظ المصطلحات النحوية، والتفنن في عدّ مسوغات الابتداء بالنكرة، ومجيء الحال معرفة، وأحوال الصفة المشبهة وما إلى ذلك.
كل هذه الأمور وأمثالها، يرددها التلميذ في هذه السن المبكرة بلا وعي، ثم ينساها عقب الفراغ من الامتحان، ولا يبقى في ذهنه منها إلا التندر على صعوبة اللغة العربية، وما لاقاه في تعلمها من عنت ومشقة
وقد أجاد الدكتور رمضان عبد التواب حين قال :{ وإنني لست بهذا أحط من أهمية قواعد اللغة، ولا أقلل من قدرها في الوقوف على سر اللغة والتمكن منها. ولكني أحذر من وضعها في المقام الأول، ونسيان الفطرة التي جُبِل عليها الإنسان في تعلم اللغة. خذ لغة التخاطب مثلا، وانظر كيف يتعلمها الطفل؟! إننا لا نشرح له أية قاعدة من قواعدها، ولكن الذي يحدث هو أننا نتكلم، والطفل يحاكي ويقلد، حتى إذا أخطأ لا يجد من حوله من يشرحون له القاعدة، وإنما يكررون الصواب أمامه ... وهكذا وعن هذه الطريقة وحدها، يلم الطفل بتراكيب اللغة ومعانيها حفظا وفهما، ويهضم كل ذلك ثم يقيس عليه، ويكتمل نضج لغةالخطاب لديه في وقت قصير دون أن يعلم شيئا

عن قواعدها وقوانينها وضوابطها. وإذا كان هذا هو المنهج الفطري في تعلم اللغة، فلماذا لا نفيد منه في تعلم العربية الفصحى؟}[36].

ولقد نادى بمثل ذلك العلامة ابن خلدون فقال:{ ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها ،أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم ، الجاري على أساليبهم من القرآن الكريم والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم و كلمات المولدين أيضاً في سائر فنونهم , حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم ــ من المنظور والمنثور ــ منزلة من عاش بينهم و لقن العبارة منهم}[37]

ومن المعروف أن "النصوص" هي المادة الأساسية التي تتشكل منها دراسة اللغة ــ أي لغة ــ في مستوياتها المختلفة أصواتاً وبنية ونحواً , وقد كانت نصوص العربية الفصحى هي مادة الدراسة بين أيدي علمائنا الأقدمين حتى القرن الرابع الهجري حيث قابلوها بسلوك علمي جاد وجهد نشيط دائب ، أثمر هذه الدراسات الخصبة العميقة في مكتبة النحو والصرف[38]

واليوم بعد أن جفونا هذه النصوص أصابنا ما أصابنا من جدب القريحة. فلا بد إذن من العودة إلى تلك النصوص حتى تثمر قرائحنا وتجود بأطيب ثمار علمية.

ولقد طبقت هذا في كلية الاقتصاد العلوم السياسية بجامعة أم درمان الإسلامية ذات مرة عندما درّست مادة اللغة العربية لغير المختصين وقد نجحت التجربة لدرجة أذهلت إدارة كلية الاقتصاد وجعلتهم يدركون قيمة تعليم اللغة العربية لطالب الاقتصاد . وجامعة أم درمان الإسلامية جامعة رائدة في تعليم اللغة العربية وتعدّ نفسها حاملة للواء العربية والدفاع عنه.

أنشئت نواة جامعة أم درمان الإسلامبة في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري نحو سنة 1321هـ وذلك بداية القرن العشرين الميلادي نحو سنة 1900م على يد مجموعة من العلماء.وقد مضت هذه الثلة من العلماء تمنح الإجازات العلمية للطلبة إلى عام 1911م,وفي عام 1332هـ الموافق 1912 م وضعت النواة في صورة حديثة وكانت نشأتها على أيدي قيادات العلم والفكر الإسلامي في السودان وكانت تسير تحت اسم المعهد العلمي ، ومرت تسميتها بأطوار وتغيرات انتهت إلى التسمية بجامعة أم درمان الإسلامية عام 1965م ثم توسعت حتى شملت اليوم ثماني عشرة كلية في طليعتها كلية اللغة العربية وكليات العلوم الشرعية بالإضافة إلى العلوم التطبيقية من طب وهندسة وتمريض وغيرها.

وهي جامعة ذات رؤى رسالية تتميز بخريجها ذي التميز العلمي والأصالة والمعاصرة فهي تدرس بجانب المواد التخصصية مادة اللغة العربية والعلوم الشرعية في جميع التخصصات لتغذي المجتمع بالإنسان العَدْل الذي يأتي بالخير أينما توجهه ، فطبيبنا يعرف غسل الميت وصلاة الجنازة ونذكّره بالطهارة كما يترسّم هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحفظ أحاديثه ويؤدي صلاته في جماعة.وهذا ديدن كل خريج وخريجة في جامعة أم درمان الإسلامية .والجامعة لا تفتأ تعيد النظر في مناهجها وتواكب التخصصات الحديثة التي يحتاجها المجتمع كالفلك والإرصاد وغيرهما .واهتمامها باللغة العربية لم يثنها عن ركب التقدم بل لها تجربة قديمة في تدريس اللغة العربية للناطقين بها و بغيرها .

وقد أثبتت الكليات العلمية نجاحا باهراً حيث استقبلت الجامعة الإشادات بخريجيها من الجامعات الخارجية والداخلية في كليات الطب والهندسة والصيدلة وغيرها،مما يشير إلى أنّ تعلم اللغة العربية لغير المختص لا يُعدّ عائقاً بل بالعكس فهو ينمّي مهاراته ويجعله متميزاً في مجاله منتميا لأمته مبصراً غير أعشى ؛لأن من يملك لغته يملك فكره ومن يملك فكره يملك قراره.

والكلية إذ تصنع هذا لتربط الجانب العلمي والتخصصي بالعبادة والدين ليكون ذلك مدار الحياة في العمل والشارع .والجامعة ترمي بهذا إلى ثلاث ركائز هي الأصالة والمعاصرة والتميز العلمي. فتخرج الاقتصادي الإسلامي والطبيب الفقيه والزراعي الناجح .

وجامعة أم درمان الإسلامية تحمّل نفسها مسؤولية تعلم اللغة العربية في داخل البلاد وخارجها للناطقين بها و بغيرها .فهي أول جامعة وطنية بالسودان تنشئ قسماً لتعليم العربية للناطقين بغيرها فكانت قبلة المسلمين من شتى بقاع الأرض ,من إندونيسيا وماليزيا ونيجيريا ومالي والسنغال وجزر القمر وموريتانيا والصومال وغيرها. ولديها قسمان لتعليم العربية للناطقين بغيرها:قسم تأهيلي يؤهل الناطقين بالعربية ويَعُدُّهُمْ ليقوموا بتدريس الوافدين وقسم آخر لتعليم الوافدين.وقد أعدت مناهج علمية دقيقة من قبل خبراء في هذا المجال تؤتي أكلها وتخرّج إنساناً يعرف العربية ويحفظ القرآن ويجيد فهمهما.

تلك هي بعض ممادح العربية التي خصها الله بضروب كثيرة تُكلّ أقلام الكتبة وتتعب أنامل الحسبة[39] وهنالك حقيقة يؤيدها التاريخ ويؤكدها الواقع ، وهي أن اللغة كائن حي يعيش مع الإنسان جنبا إلى جنب فينمو ويزدهر بنمو وازدهار أصحابه ويموت بموتهم.فلغتنا قد تبارى الأوائل في خدمتها ,تركوا في خدمتها الشهوات ،وجابوا الفلوات.ونادمو لاقتنائها الدفاتر،وسامروا القماطر والمحابر،وكدّوا في حصر لغاتها طباعهم وأشهروا في تقييد شواردها أجفانهم ،وأجالوا في نظم قلائدها أفكارهم وأنفقوا على تخليد كتبها أعمارهم فعظمت الفائدة وعمت المصلحة وتوفرت العائدة. ولأجل ذلك صرحت بأن الخلل في أبنائها في الدول العربية والإسلامية اليوم .إذ لا يأتيها الخلل من بين يديها ولا من خلفها.

التوصيات:

1\تبصير أبنائنا وشبابنا بممادح لغتهم ودقائقها ومعرفة روادها ليفخروا بتاريخها ومجدها.

2\إن الله كرمنا بالعلم منذ بدء الخليقة ؛لنجعل العملية التعليمية هي وسيلة الكسب وسلم الارتقاء والنهوض إلى المقامات العالية والحياة المادية والروحية.

3\ضرورة تعلم اللغات الأجنبية وتجويدها على أن تكون وسيلة وليست بديلة .

4\وجود القدوة العلمية والمعرفية ؛لأن المعلم هو حجر الزاوية وليس حفظ القواعد وتلقينها.

5\استخدام اللغة الوطنية في المجال العلمي ضرورةلا تحتمل التعطيل.

الهوامش:ـ

[1] هو أحمد محمد صالح ,شاعر سوداني ولد عام 1896م ,لُقب بشاعر الإحياء؛لأنه اشعل في جيله شرارة الوعي بعظم الحضارة التي ينتمون إليها فترجمها عملاً وفكراً وشعراً.تخرج في كلية غردون عام 1914م ,وعمل مدرساً بالمدارس الابتدائية وتقلد عدة وظائف في مصلحة المعارف وأصبح نائباً لمدير المعارف.وهو مؤلف النشيد الوطني السوداني. انظر مقدمة ديوانه :أ.د.عون الشريف قاسم11.

[2] ديوان مع الأحرار,أحمد محمد صالح,6,ط:2 1425ه 2004م دار الأصالة للصحافة والنشر والأنتاج الأعلامي.

[3] سورة إبراهيم الآية 11

[4] سورة الحجر الآية 9

[5] ديوان فارس الأحلام القديمة ، وليد إبراهيم قصاب ، 70\74، 1410هـ ، 1990م.د.ط

[6] الشوقيات ، لأحمد شوقي ، 95

[7] نزهة الألباء في طبقات الأدباء عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري إبراهيم السامرائي1\176 مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن ط:3، 1405 هـ - 1985 م

[8] نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ــ الشيخ محمد الطنطاوي رحمه الله ـــ المحقق :أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل ــ مكتبة إحياء التراث الإسلامي ـــ ط:1،2005م-1426هـ ـــ 1\19

[9] ديوان فارس الأحلام القديمة ، وليد إبراهيم قصاب ، 70\74.

[10] ديوان أبو الحسن الجرجاني ، 102

[11] علم اللغة العربية د. محمود فهمى حجازى, 243\244 الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

[12] البيان والتبيين ,عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ 1\136, دار ومكتبة الهلال، بيروت: 1423 هـ

[13] تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين, : رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو 10\200 , دار المشرق – بيروت ط:3

[14] فضل الأسلام على الحضارة الغربية,مونتجمري وات,83, ترجمة حسين أحمد أمين,القاهرة:دار الشروق,ط2 ,1986م

[15] شمس العرب تسطع على الغرب,زيغريد هونكة,297 (أثر الحضارة العربية في أوربا ) ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي,راجعه ووضع حواشيه هارون عيسى ا لخوري,بيروت المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ط :2 ,1969م

[16] فقه اللغة وخصائص العربية وطرائق نموها,د.صلاح روّاي,20\19,ط:1,1413ه_1993م,دار الهاني للطباعة.

[17] كتاب العين,لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ,تحقيق:الدكتور مهدي المخزومي ,والدكتور إبراهيم السامرائي , 1\8

[18] الترجمة في ظل الحضارة الأسلامية وأثرها في الآداب والعلوم ,هدية مجلة الفيصل ,العدد239 \ 73

[19] شمس العرب تسطع على الغرب,زيغريد هونكة,78

[20] الترجمة من العربية في المجال العلمي وأثرها في الحضارة الغربية ،د.محمود إسماعيل الصيني 74

[21] الدولة الإسلامية وترجمة العلوم للدكتور حسن ظاظا ،9 (في هدية مجلة الفيصل العدد 239)

[22] بحوث ومقالات في اللغة رمضان عبد التواب 1\183 مكتبة الخانجي بالقاهرة ط:3 1415هـ-1995م

[23] دراسات في فقه اللغة د. صبحي إبراهيم الصالح، 354 ، دار العلم للملايين ط:1 1379هـ - 1960م.
[24] الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف محمد بن سعيد بن سالم القحطاني تقديم : فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي 395 ، دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية ط:1،د.ت.

[25]أساليب الغزو الفكري، د.علي جريشة،64

[26]عن الاتجاهات الوطنية ،217

[27] الولاء والبراء في الإسلام ، 396
[28] هل نحن مسلمون ،محمد قطب، 68.

[29]سورة البقرة الآية 31

[30] مجلة بحوث ودراسات العالم الإسلامي، العدد التاسع 1433هـ 2012م،الاستشراق أهدافه وعلاقته بالتنصير والاستعمار،د.إبراهيم حسن إبراهيم 19.

[31]في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، د.السيد عبد العزيز سالم ,9.

[32]أوروبا والعصور الوسطى ،سعيد عبد الفتاح عاشور ،1\649

[33]المستشرقون ، نجيب العقيقي ،3\1156 ، دار المعارف مصر

[34] هُوَ جَمْع حَزْوَرٍ وحَزَوَّرٍ، وَهُوَ الَّذِي قَارَبَ الْبُلُوغَ، وَالتَّاءُ لِتأنيث الْجَمْعِ، النهاية في غريب الحديث والأثر،مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي1\380، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م

[35] سنن ابن ماجه ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،1\23 الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي
[36] بحوث ومقالات في اللغة رمضان عبد التواب1\48

[37]تاريخ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ، المحقق خليل شحادة ، 771،دار الفكر بيروت ، ط:2 ، 1408هـ - 1988م.

[38] الاستشهاد والاحتجاج باللغة, رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث, الدكتور محمد عيد ، انظر المقدمة (أ) , عالم الكتب, 1988م.د.ط.

[39] فقه اللغة وسر العربية , عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ، المحقق: عبد الرزاق المهدي ،16, إحياء التراث العربي , ط:1 ، 1422هـ - 2002م.